الفصـــل الأول

مصطلحات تتعلق بالاعتقاد

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

الدين فى اللغة والاصطلاح

ويشتمل على المسائل التالية :

المسألة الأولى: الدين ودلالاته فى اللغة العربية .

سوف نحاول تتبع معانى كلمة الدين فى المعاجم اللغوية حتى نقف على استعمالها اللغوى. آملين أن نصل إلى ضوابط تجمع المعانى المختلفة للكلمة.

يقول ابن فارس " الدال والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها وهو جنس من الانقياد والذل " [١]

وبالنظر فى المعاجم اللغوية وكتب التفسير وشروح السنة وجدنا أن الدين من الناحية اللغوية يطلق على عدة معان . منها :-

١- الطاعة

يقال دان له يدين ديناً إذا أصحَبَ وانقاد وطاع، وقوم دينُ أى مطيعون منقادون، وقد دنته أطعته. ومنه قول عمرو بن كلثوم

وأياماً لنا غـــراً كـــراماً عصينا الملك فيها أن ندينا [٢]

وأصل الدين هو الطاعة والجزاء ثم استعير للشريعة، والدين كالملة لكنه يقال باعتبار الطاعة والانقياد للشريعة [٣]

٢- الحَكَم القَاضِى

ومنه الديَّان وكان علُّى ديَّان هذه الأمة أى قاضيها وحاكمها[٤] ومنه قوله ﴿ **مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ** ﴾[٥] أى فى حكمه وقضائه

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٢ ص ٣١٩ تحقيق عبد السلام هارون

(٢) لسان العرب ج ٢ ص ١٤٦٧ - ١٤٧٠

(٣) معجم القرآن ص ٢٢٣ - ٢٢٤

(٤) لسان العرب والقاموس المحيط ج ٤ ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٥) سورة يوسف الآية ٧٦

٣ـ السياسة والقهر

تستعمل كلمة الدين بمعنى السياسة ومنه قول ذى الإصبع

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب فينا ولا أنت ديَّانى فتخزونى

أى لست بقاهر فتسوس أمرى [١]

٤ ـ الجزاء والحساب الحُكم

ومنه يوم الدين أى الجزاء والحساب. سواء أكان يوم الحكم أو الجزاء والحساب فأى ذلك كائن فهو أمر يُنقاد له. وقال أبو زيد: دين الرجل يُدان إذا حُمل على ما يكره[٢] وفى المثل " كما تدين تدان " أى كما تُجازِى تُجازَى بفعلك وحسب ما عملت ومنه قوله تعالى ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[٣] أى مجزيون محاسبون

٥ ـ العادة والشأن

يُقال ما زال ذلك دينى وديدنى أى عادتى وشأنى يقول ابن فارس " أما قولهم إن العادة يقال لها دين فإن كان صحيحاً فلأن النفس إذا اعتادت شيئاً مرَّت معه وانقادت له، وينشدون فى هذا:

كدينك من أم الحويرث قَبلَها وجارتها أمَّ الرَّباب بمأسلَ [٤]

ومنه قوله

يا دين قلبك من سَلمىَ وقد دِينَاَ[٥]

أى يا عادة قلبك، وقد دِيْنَاْ أى حُمل على ما يكره.

٦ ـ الذل

يطلق الدين على الذل ، والمَدين العبد، والمدينة الأمَة كأنها أذلها العمل، والمدينة الحاضرة كأنها مفعلة سميت بذلك لأنها تقام فيها طاعة ذوى الأمر[٦]

---

(١) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج ١ ص ١١٥ ـ ١١٦

(٢) معجم مقاييس اللغة ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٠

(٣) سورة الصافات الآية ٥٣

(٤) معجم مقاييس اللغة ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٠

(٥) المحرر الوجيز ج ١ ص ١١٦

(٦) انظر معجم مقاييس اللغة ج ١ ص ٣١٩والمحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ج ١ ص ١١٦

٧ـ الحال

من الإطلاقات التي تستعمل بمعنى الدين فى لغة العرب الحال قال النضر بن شميل: "سألت أعرابياً عن شيء فقال لى لو لقيتنى على دين غير هذا لأخبرتك" أى على حال[١]

ولعلنا نلاحظ المعانى المتعددة التى تتحملها إطلاقات كلمة الدين غير أن هذا التنوع فى استخدام الكلمة فى المعاجم اللغوية جعلها ـ أى المعاجم ـ لا تحدد بالضبط المعنى الدقيق لكلمة (الدين) ، ولعل من أبلغ من عبر عن هذا التنوع فى تلك المعاجم، وتلمس العذر لواضعيها

الدكتور " دراز " حيث يذكر عن هذه المعاجم أنها إنما وضعت " لضبط اللسان لا لتثقيف الجنان "[٢]

المحاور التى تدور حولها كلمة دين

بعد هذا الاستعراض يمكن أن نخلص إلى أن كلمة دين ـ تعود إلى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة ـ[٣]

أولاً: فهى تؤخذ من فعل متعد بنفسه " دانه يدينه " أو دانه ديناً ونعنى بذلك أنه حكمه وملكه وساسه ودبره وقهره ، وحاسبه وقضى فى شأنه فالدين بهذا الاستعمال يدور حول معنى المُلك والقهر والمحاسبة والمجازاة[٤] ولأن الحساب والجزاء معنى أصيل فى استخدام العرب لكلمة دين.

ثانياً: تأتى كلمة الدين من فعل متعد باللام " دان له " ومعناه أطاعه وخضع له فالدين هنا بمعنى الخضوع والطاعة العبادة.

ثالثاً: تأتى كلمة الدين من فعل متعد بالباء " دان به " كقولنا دان الشيء معناه اتخذه ديناً واعتقده واعتاده ، وتداين القوم استدان بعضهم

---

(١) المحرر الوجيز ج ١ ص ١١٦ انظر فى المعانى المتعددة لاستخدام كلمة دين – القاموس المحيط ج ١ ص ٢٢٦ – ٢٢٧ ومختار الصحاح ص ٢٠٤ ، والمعجم الوسيط ج ١ ص ٣٠٤

(٢) الدين للدكتور دراز ص ٢٩

(٣) نفسه ص ٢٥

(٤) الدين للدكتور دراز ص ٢٦

بعضاً وتعاملوا بالدَيْن وهذا الاستعمال تابع للاستعمالين من قبله لأن العادة أو العقيدة التى يُدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ويلزم اتباعها.

وينتهى الدكتور " دراز " إلى أن مادة دين تدور حول معنى لزوم الانقياد كما فى الاستعمال الأول الذى هو إلزام الانقياد، وفى الاستعمال الثانى هو التزام الانقياد. وهناك فرق بين الإلزام والالتزام، وفى الاستعمال الثالث هو المبدأ الذى يلتزم الانقياد له " [١] وإن كان للبعض رأى آخر فى أصل كلمة دين ـ فيرى الإمام الأكبر الشيخ " مصطفى عبد الرازق " ـ أن أكثر المعاجم اللغوية تجمع لفظ دَيْنْ ولفظ دِيْنْ فى مقام واحد باعتبار أنهما من مادة واحدة ويتساءل " أفليس من المعقول أن تكون كلمة دين بمعنى ملة مأخوذة من كلمة دين بمعنى الشيء غير الحاضر فإن أساس الأديان كلها الإيمان بأمر وراء هذا الموجود المحسوس الحاضر " [٢]

غير أننا نرى أن هذا تضييق لاستعمال كلمة " دين " بعد أن رأينا استخداماتها ـ المتنوعة ـ وحصرها فى معنى واحد بلا مرجح والأولى بالقبول هو ما عبر عنه الدكتور دراز لجمعه المعانى المتعددة لكلمة " دين " فى رباط جامع يتمثل فى تعدى الكلمة بنفسها.

وهذا التعدى يجمع عدة إطلاقات وكذلك تعديها باللام، وتعديها بالباء، وفى كل معانيها. فإنها تعنى الإلزام والانقياد مع ما يتطلبه الإلزام من صاحب طاعة ومطيع، وشئ يُنفَذَ أو يُفعَلْ من جانب المطيع إرضاءً لصاحب الطاعة والانقياد.

---

(١) الدين للدكتور دراز ص ٢٦ ـ ٢٧ وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٦ للدكتور عوض الله حجازى وانظر فى الدين المقارن ص ١٩ للدكتور محمد كمال جعفر دار الكتب الجامعية ١٩٧٠

(٢) الدين والوحى والإسلام ص ٣٥

المسألة الثانية: وقفة مع بعض المستشرقين حول كلمة دين وأصالتها فى اللغة العربية.

بعد هذه الجولة الواسعة بين المعاجم والقواميس اللغوية القديمة منها والمعاصرة فى كلمة " دين " والمعانى المختلفة التى تتحملها فى لغة العرب وأشعارها بعد هذا كله يطالعنا أحد كُتاب دائرة المعارف الإسلامية من المستشرقين برأى يقول فيه " ذكر فقهاء اللغة من العرب فى مادة دين معانى مضطربة أساسها كلمات ثلاثة قائمة برأسها

١ـ كلمة آرامية عبرية معناها الحساب

٢ـ كلمة عربية خالصة ، ومعناها عادة أو استعمال تَمُتُ هى والكلمة الأولى إلى أصل واحد مثلها فى ذلك مثل الكلمة العبرية " تشبات " بالنسبة إلى الكلمة "شافاط"

٣ـ كلمة فارسية مستقلة تمام الاستقلال معناها ديانة، ويستشهد هذا المستشرق بكلام مستشرق آخر فيقول " وقد عارض " فولرز " الرأى القائل بوجود كلمة عربية خالصة هى دين ، وبيَّن أن الكلمة الفارسية "دين " بمعنى ديانة كانت مستمدة بالفعل من اللغة العربية أيام الجاهلية وذهب إلى أن المعنى عادة أو استعمال اشتق من هذه الكلمة " ZEITSCHR- FASSYR [1] وهو بهذا الطرح ينفى وجود كلمة عربية خالصة بمعنى الدين وإذا عورض باستعمالها عند العرب فى الجاهلية رد ذلك إلى أن أصلها فارسى.

ويواصل افتراءاته فيقول " وكان من الطبيعى أن يؤدى هذا الاضطراب إلى وقوع مفسرى القرآن فى مصاعب لا تنتهى ، وشاهد ذلك أنهم حين تعرضوا لتفسير آية (مالك يوم الدين) انظر تفسير البيضاوى ، والرازى، والطبرى حاروا حيرة شديدة فى التماس ما يؤدى بهم إلى هذا المعنى.. على أننا يمكن أن نرد آيات القرآن جميعاً إلى معنى أو آخر من معانى هذه الكلمة الثلاث التى ذكرناها آنفاً "[2]

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة دين ج ٩ ص ٣٦٨

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٩ ص ٣٦٨

كانت هذه هى الشبهة التى أثارها بعض كُتاب دائرة المعارف الإسلامية من المستشرقين.

ويمكن الرد عليهم فى النقاط التالية: ـ

أولاً: إن كلامهم لا يقوم على أى معيار علمى وأن الأمر لا يعدو أن يكون نزعة شعوبية تريد تجريد العرب من كل فضيلة حتى فضيلة البيان التى هى من أعز مفاخرهم [١]

ثانياً:ـ بالرجوع إلى المفسرين الذين وصفهم كاتب مادة " دين " بأنهم حاروا حيرة شديدة فى التماس ما يؤدى بهم إلى أن معنى الدين فى قوله (مالك يوم الدين) المقصود به الحساب والجزاء، وجدنا أنهم عبروا عن تفسير الدين بالحساب والجزاء فى منتهى الوضوح، والبيان واستدلوا على ما ذهبوا إليه بلغة العرب وشواهد من أقوال الصحابة والتابعين وهذا يوضح مدى الافتراء الذى يمارسه بعض المستشرقين على اللغة والدين من ناحية وعلى العلماء والحقيقة من جهة أخرى. وسوف نعرض رأى المفسرين الذين ذكرهم كاتب دائرة المعارف. ليرى القارئ مدى صدق كلام المستشرقين من عدمه.

يقول إمام المفسرين " الطبرى " فى تفسير قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[٢] والدين فى هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال كما قال كعب بن جُعَيْلٍ

إذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا

ومن ذلك قوله ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ ﴾ يعنى الجزاء وقوله ﴿ ﴿٨٦﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يعنى مجزيين بأعمالكم ولا محاسبين يقول " وللدين معان فى كلام العرب غير معنى الحساب والجزاء ثم يستدل على تفسير الدين بالحساب والجزاء بالآثار الواردة عن الصحابة فينقل عن ابن عباس وابن مسعود أن يوم الدين يوم الحساب"[٣] ونحن نسأل هذا المستشرق أى اضطراب إذن حصل فى كلام

---

(١) الدين للدكتور دراز ص ٢٧ - ٢٨

(٢) سورة الفاتحة الآية ٤.

(٣) تفسير الطبرى ج ١ ص ١٥٦ تحقيق أحمد ومحمود شاكر دار المعارف

الطبرى وقد رأيناه يستدل ويتمكن على ما ذهب إليه بكلام العرب وبالمأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم.

أما الفخر الرازى الذى اتُهم بالاضطراب فى تفسير الآية فنصه كالآتى " قوله ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ سورة الفاتحة الآية ٤ أى مالك يوم البعث والجزاء، وتقديره أنه لابد من الفرق بين المحسن والمسئ والمطيع والعاصى، والموافق والمخالف وذلك لا يظهر إلا يوم الجزاء "[١]

وأيضاً البيضاوى يفسر يوم الدين بيوم الجزاء والحساب ويستدل بلغة العرب على ذلك يقول " ومنه كما تدِيْنُ تُدَانْ "[٢]

وكما هو واضح من النصوص التى نقلناها عن المفسرين الذين اتهموا من قِبَل بعض المستشرقين بالاضطراب لاحظنا الدقة فيما ذكره المفسرون حول (مالك يوم الدين) ولم يُحاروا فى تفسيرها كما زعم كاتب دائرة المعارف وهذا ما حدا بالشيخ مصطفى عبد الرازق إلى استبعاد أن يكون لفظ " دين " بمعنى الملة لفظاً غير عربى خصوصاً مع الاعتراف بوجود اللفظ نفسه عربياً. بمعنى آخر فى رأى " ماكدونالد " كاتب دائرة المعارف الإسلامية[٣]

ثالثاً: والذى بدا لى أن كُتاب دائرة المعارف لاحظوا اختلاف المفسرين حول قراءة مالك ، وملك فتوهموا أن المفسرين اضطربوا واحتاروا فى تفسير يوم الدين بالحساب والجزاء ، وهذا ما لم يحدث كما أوضحت عند عرض رأى المفسرين فى تفسير الآية على أن شطط المستشرقين فيما ذهبوا إليه مرده إلى جهلهم باللغة العربية ومعانيها وهم من هذه الناحية آخر من يصلحون علمياً للبحث فى لغة القرآن وبلاغته كما يقول الأستاذ أحمد شاكر عليه رحمه الله[٤]

---

(١) التفسير الكبير ج ١ ص ٢٣٦

(٢) تفسير البيضاوى ص ٤

(٣) انظر الدين والوحى والإسلام ص ٣٤

(٤) هامش دائرة المعارف ج ١٢ ص ٤١٧

المسألة الثالثة: ـ الدين اصطلاحاً

يُعرف الدين* فى الاصطلاح بأنه " وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات "[١]

وبالتأمل فى التعريف نلاحظ الآتى :ـ

أولاً: أن الوضع المشار إليه فى التعريف لا يتعلق بالأحكام الشرعية فقط وإنما يدخل فيه كل ما يوحى به الله إلى رسله عليهم السلام من أمور الدنيا والآخرة ، وهذا يشمل العقائد والأعمال[٢]

ثانياً: أن التقييد هنا بكلمة إلهى يُخرج ما يضعه الساسة والحكماء من التشريعات التى يسوسون بها الرعية ويديرون شئونهم لأن هذه القوانين موضوعة ولكنها ليست من عند الله وإنما هى من صنع البشر.

ثالثاً: كلمة " سائق " فى التعريف تفيد معنى الحمل والبعث للنفس على فعل أمور الدين . لأن المكلف إذا سمع ما يترتب على فعل الواجب من الثواب وما يترتب على الفعل الحرام من العقاب انساق إلى الأول ، وترك الثانى.

ويجب أن تخصص كلمة " سائق " بالمكلفين إذا إن هناك أموراً تسوقهم وتسوق غيرهم بحكم الضرورة وبالجبلة مثل الأوضاع الطبيعية التى تسوق الحيوانات لمنافعها.

رابعاً: الاختيار المحمود يخرج الأمور التى تسوق الإنسان إلى أمور لازمة لا تكون باختياره كالآلام السائقة إلى الأنين وكالجوع الذى يسوق إلى الطعام، والعطش الذى يسوق إلى الشراب.

أما المحمود فإنه يخرج الاختيار المذموم كالكفر وكمنع الزكاة المترتب على حب الدنيا والتعلق بها.

---

(١) البيجورى على الجوهرة ص ١٤

(٢)كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ج ٢ ص ٥٠٣

* الدين هنا باعتباره " لا يكون إلا وحياً من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله " انظر الدين والوحى والإسلام ص ٤١

خامساً: الذات الواردة فى التعريف. تتعلق بالخير الذاتى الذى هو عبارة عن السعادة الأبدية ، وخرج ،بالخير الذاتى كافة التعاليم والصناعات السائقة إلى الخير فإنها وإن ساقت إلى الخير والمنفعة إلا أنه خير جزئى أما الخير الكلى فهو الذى يدل عليه الدين ويأتى به [١]

---

(١) انظر البيجورى على الجوهرة ص ١٥ بتصرف

obeikandl.com

المبحث الثانى
الدين وإطلاقاته فى القرآن والسنة

المسألة الأولى: الدين فى القرآن الكريم (المعنى العام)

تطلق كلمة الدين فى القرآن الكريم على عدة معان منها :

١ـ الحساب والجزاء

كما فى قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [١] ومنه قوله تعالى (﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [٢] ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ [٣] وقوله تعالى ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ [٤] وكل كلمة دين إذا أضيفت إلى يوم فهى يوم القيامة [٥] وقد ذهب إلى أن معنى كلمة " دين " فى هذه الآيات ـ جميعها معناها الجزاء والحساب جمهرة من المفسرين واستندوا على أقوال للصحابة والتابعين يفسرون فيها يوم الدين ـ بأن المقصود به الحساب والجزاء [٦].

٢ـ النظام والملك والحُكم

كما فى قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٧] أى فى نظام ومُلك مَلِك مصر أو فى قضاء المَلِك ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [٨] أى فى قضائه وحكمه وشريعته [٩]

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٤
(٢) سورة الواقعة الآية ٨٦ - ٨٧
(٣) سورة الانفطار الآية ١٧ـ١٨
(٤) سورة الماعون الآية ١
(٥) معجم القرآن ص ٢٢٣ـ ٢٢٤ عبد الرءوف المصرى مطبعة حجازى ١٩٨٤م
(٦) انظر تفسير ابن عطية ج ١ ص ١١٥ ، وتفسير الرازى ج ١ ص ٢٣٧ـ ٢٣٨ وأبو السعود ج ١ ص ١٧
(٧) سورة يوسف الآية ٧٦
(٨) سورة النور الآية ٢
(٩) الكليات لأبى البقاء ج ٢ ص ٣٣٨ـ ٣٢٩

٣ـ الطاعة والإذعان

كما فى قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[١] أى ومن أحسن طاعة[٢]

ومنه قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[٣] أى الطاعة والعبادة

وقوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾[٤] أى طاعتى وعبادتى[٥]

٤ـ الطريقة والعادة والعقيدة والمذهب

كما فى قوله تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[٦] أى لكم طريقتكم التى تتبعونها فى عبادتكم ومعاملاتكم، ولى دينى أى طريقتى التى علمنى الله إياها وأرشدنى إليها وأمرنى بها[٧]

وقد استخدم " الرازى " رحمه الله معانٍ متعددة لكلمة الدين فى تفسيره لهذه الآية، وفسرَّ الآية بها.

فينقل عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ أى لكم كفركم، ولى التوحيد والإخلاص بالله.

ويقول: إذا قيس الدين بمعنى الحساب لكم حسابكم ولى حسابى ولا يرجع إلى كل واحد منا من عمل صاحبه أثر ألبتة. أو الدين العقوبة أى فلكم العقوبة من ربى ولى العقوبة من أصنامكم لكن أصنامكم جمادات فأنا لا أخشى عقوبتها، وأما أنتم فيحق لكم عقلاً أن تخافوا عقوبة جبار السموات والأرض.

---

(١) سورة النساء ١٢٥

(٢) المفردات للراغب ص ١٧٧ـ ١٧٨

(٣) سورة الزمر الآية ١١

(٤) سورة الزمر الآية ١٤

(٥) القرطبى المجلد الثامن ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٦) سورة الكافرون الآية ٦

(٧) انظر الدين ص ٢٦ ومقارنة الأديان ص ٦

وإذا فسر الدين بمعنى العادة فمعناه لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم ومن الشياطين ولى عادتى المأخوذة من الملائكة والوحى ثم يبقى كل منا على عادته وطريقته حتى تلقوا الشياطين والنار ، وألقى الملائكة والجنة[١]

بهذه الشمولية استخدم الرازى معظم المعانى المستخدمة فى كلمة الدين فى تفسير قوله تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

٥ـ الدين بمعنى الإسلام الذى عليه جميع الأنبياء والرسل

وردت كلمة الدين فى القرآن الكريم بمعنى الإسلام بوجه عام والإسلام فى هذه الإطلاقات اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء[٢] وعنوانه قوله (لا إله إلا الله) الدين يعنى عبادة الله وحده لا شريك له الذى بُعث به جميع الأنبياء كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب[٣] والدين الذى جاء به الأنبياء قبل محمد ﷺ هو الإسلام بمعنى إخلاص الدين والعبادة لله [٤]

وعلى هذا الإطلاق للدين بمعنى الإسلام بمعناه العام ورد ما يعرف بوحدة الدين عند جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من المؤمنين. يقول تعالى ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[٥]

ويجب أن نقرر هنا أن الدين الموحى به من الله للأنبياء هو الإسلام بمعناه العام، وقد وصف معظم الأنبياء بأنهم مسلمون، وبأن دينهم هو الإسلام.

---

(١) انظر تفسير الرازى ج ٣٢ص ١٤٧

(٢) الدين ص ١٧٥

(٣) الإيمان لابن تيمية ج ٧ ص ٦٣٥ - ٦٣٦

(٤) تفسير الرازى ج ٧ـ٨ ص ٢٠٨

(٥) سورة النساء الآية ١٦٣

١- سيدنا نوح عليه السلام يذكر أن دينه الإسلام يقول تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[١]

٢- سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول تعالى عنه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢]

٣- سيدنا يعقوب عليه السلام يحكى القرآن وصيته لأبنائه عند احتضاره يقول تعالى ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[٣]

٤- سيدنا يوسف عليه السلام يقول ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[٤]

٥ - سيدنا موسى عليه السلام يدعو قومه إلى الإسلام يقول تعالى (﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[٥]

٦- وسيدنا سليمان حكى القرآن عنه أنه دعا ملكة سبأ إلى الإسلام يقول تعالى ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[٦] ويتحدث عن دينه ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾[٧] وملكة سبأ حين أذعنت لسليمان أعلنت أنها قد دخلت فى دين الإسلام يقول تعالى ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٤ ﴾[٨] وسيدنا عيسى عليه

(١) سورة يونس الآية ٧٢
(٢) سورة البقرة الآية ١٣١
(٣) سورة البقرة الآية ١٣٣
(٤) سورة يوسف الآية ١٠١
(٥) سورة يونس الآية ٨٤
(٦) سورة النمل الآية ٣٠، ٣١.
(٧) سورة النمل الآية ٤٢.
(٨) سورة النمل الآية ٤٤.

السلام كانت دعوته ودينه الإسلام يقول تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[١]

فكلمة الإسلام فى هذه الآيات تعنى الخضوع لله وطاعته وعلى هذا فإن أتباع الأنبياء مسلمون ومن ثمَّ فجميع الملل والشرائع التى جاء بها الأنبياء روحها الإسلام والانقياد والخضوع وإن اختلفت فى بعض التكاليف وصور الأعمال، وبه كان الأنبياء يوصفون فالمسلم الحقيقى من كان خالصاً من شوائب الشرك مخلصاً فى أعماله[٢]. على أن الإسلام هنا يراد به الاستسلام طوعاً

فكأن المسلم هو الذي رضي بطاعة الله فاجتمعت له الطاعة والإرادة ، وإنما قلنا طوعاً حتى نميز بين نوع آخر من الإسلام بمعني الانقياد والطاعة ولكن بالقهر والكُره وعليه قوله تعالي ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٣] وهنا أسلم المؤمن طواعية والكافر اضطراراً من حيث أنه وغيره من الكائنات خاضعون الله ومنقادون له بحكم خلْقتِهِم رضوا أم كرهوا[٤]

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٢.

(٢) فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٧٠ وتفسير المراغى ج ٣ ص ١١٩

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٣.

(٤) فجر الإسلام ص ٧٠ لأحمد أمين مكتبة النهضة الطبعة الحادية عشرة

المسألة الثانية الدين فى القرآن الكريم (المعنى الخاص) للإسلام

والإسلام على هذا الوجه هو " ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشريعة والمنهاج، وهو الشريعة والحقيقة "[١] وقد اعتبر الله أن الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ هو الدين الحق الواجب اتباعه من المشركين أو اليهود أو النصارى وبالجملة من جميع الناس.

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٢] أى لا دين مرضى عند الله سوى الإسلام وهو التوحيد الذى جاء به محمد ﷺ والتدرع بشرعه[٣]

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية " إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختُموا بمحمد ﷺ الذى سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ فمن لقى الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٤]

ويقول سبحانه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٥] يذكر إمام المفسرين الطبرى فى تفسيره لهذه الآية " أى ومن يطلب غير دين الإسلام ليدين به فلن يقبل الله منه وهو فى الآخرة من الخاسرين الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عز وجل وذكر سبحانه أن أهل كل ملة أدَّعَوْا أنهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية فأمرهم الله بالحج إن كانوا صادقين لأن من فرائض الإسلام الحج فامتنعوا فأدحض الله حجتهم "[٦] ويذكر القرطبى أن هذه الآية نزلت فى الحارث بن سويد أخو الجلاس بن سويد وكان من الأنصار ارتد عن الإسلام هو

---

(١) مجموع الفتاوى ج٧ ص ٦٣٥ - ٦٣٦.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩.
(٣) تفسير البيضاوى ص ٦٩
(٤) سورة آل عمران الآية ١٩ وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٥٤
(٥) سورة آل عمران الآية ٨٥
(٦) تفسير الطبرى المجلد الثالث ص ٢٤١

واثنا عشر معه ولحقوا بمكة كفاراً فنزلت هذه الآية ثم أرسل إلى أخيه يطلب التوبة، وروى ذلك ابن عباس وغيره قال ابن عباس : **وأسلم بعد نزول الآيات** [١] وينقل الطبرى عن عكرمة فى سبب نزول الآية (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً) قالت اليهود فنحن المسلمون قال الله عز وجل لنبيه ﷺ قل لهم ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ومن كفر يعنى من أهل الملل ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ " [٢]

والخلاصة أن الإسلام فى هذه الآية مقصود به المعنى الخاص أى الدين الذى جاء به محمد ﷺ [٣]

ومن إطلاقات الدين على الإسلام بالمعنى الخاص قوله تعالى ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [٤]

فدين الله فى هذه الآية المراد به الإسلام يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [٥]

وقوله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [٦]

وللدين أسماء أخرى بمعنى الإسلام منها صراط الله فى قوله تعالى ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٧]

ومنها كلمة الله فى قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾ [٨]

---

(١) تفسير القرطبى ج٣/ ٤ ص ١٢٨

(٢) انظر الطبرى المجلد الثالث ص ٢١٤ ، الآية ٩٧ من سورة آل عمران

(٣) انظر تفسير الرازى ج ٨/٧ ص ١٢٥ - ١٢٦

(٤) سورة النصر الآية ١-٢

(٥) سورة آل عمران الآية ١٩

(٦) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٧) سورة الشورى الآية ٥٣

(٨) سورة التوبة الآية ٤٠

ومنها الحبل فى قوله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[١]

وبعد أن يعدد الرازى إطلاقات كلمة الدين بمعنى الإسلام يقول : " وإنما قال فى دين الله ولم يقل فى دين الرب ولا سائر الأسماء لوجهين :

الأول : أن هذا الاسم أعظم لدلالته على الذات والصفات فكأنه يقول : هذا الدين إن لم يكن له خصلة سوى أنه دين الله فإنه يكون واجب القبول.

الثانى : لو قال دين الرب لكان يشعر ذلك بأن هذا الدين إنما يجب عليه قبوله لأنه رباك وأحسن إليك، وحينئذ تكون طاعتك له معللة بطلب النفع فلا يكون الإخلاص حاصلاً"[٢]

ومن إطلاقات الدين على الإسلام بالمعنى الخاص قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[٣]

وقوله تعالى ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[٤]

فالمراد بالدين فى جميع هذه الآيات هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها المختلفة من ناحية الاعتقاد والتشريع والسلوك [٥] لأن الدين عند المسلمين معنى جامع لكل تصرف يتصرفه المرء المسلم فى حياته منذ أن يستيقظ من نومه إلى أن يؤوب إلى فراشه، وفى كل عمل يعمله مهما اختلفت هذه الأعمال من أحقرها إلى أدناها إلى أشرفها وأعلاها كل ذلك دين هو مسئول عنه يوم القيامة وعلى هذا المعنى يحمل قول الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[٦]

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣

(٢) تفسير الرازى ج ٣٢ص ١٥٧

(٣) سورة التوبة الآية ٣٣

(٤) سورة التوبة الآية ٢٩

(٥) انظر المصطلحات الأربعة ص ٨٥ - ٨٦ - ٨٧

(٦) سورة الأنعام الآية ٦٣ وانظر فى مفهوم الدين كتاب أباطيل وأسماء ص ٢٣٢ - ٢٢٤ للأستاذ محمود شاكر – طبعة المدنى الطبعة الثانية.

المسألة الثالثة كلمة الدين واطلاقاتها فى السنة النبوية

وردت كلمة الدين فى السنة النبوية الشريفة بمعان عدة [١] لا تخرج عما ورد فى القرآن من إطلاقات بالمعنى العام والخاص.

١ـ وردت كلمة الدين بمعنى التوحيد

روى البخارى بسنده عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه. فلقى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إنى لعلى أدين دينكم فأخبرنى فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله. قال زيد : ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وإنى أستطيعه؟ فهل تدلنى على غيره؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال زيد: وما الحنيف ؟ قال دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله" [٢] وهذا النص جزء من حديث طويل.

والشاهد فى هذا الحديث قوله " يسأل عن الدين " أى عن التوحيد [٣].

وفيه أيضاً إطلاق لفظ الدين على ما عليه اليهود من اعتقاد وعبادة باطلة – كما أخبر اليهودى زيد.

أما ما ورد فى الحديث من قوله " وما الحنيف؟

قال : دين إبراهيم . فيُقصد به الدين الحق بدليل قوله " ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله " ورد أن زيد بن عمرو كان يفتخر على أهل مكة قائلاً: ما بقى أحدٌ منكم على دين إبراهيم إلا أنا "[٤]

٢ـ بمعنى الحساب والجزاء

من إطلاقات الدين فى السنة إطلاق اللفظ على الجزاء سواء فى الخير أو فى الشر، وكذلك إطلاق اللفظ على الحساب. وهى معانى لا تخرج عما ورد فى القرآن الكريم كما أسلفنا ولا عما ورد فى لسان العرب . وقد ذكر البخارى رحمه الله تحت

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ج ٢ ص ١٦٣

(٢) البخارى كتاب مناقب الأنصار باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ج ٢ ص ١٤٢

(٣) فتح البارى ج ٧ ص ١٤٤

(٤) نفسه ص ١٤٥

باب ما جاء فى فاتحة الكتاب ما نصه :" الدين الجزاء فى الخير والشر كما تدين تدان، وقال مجاهد : الدين الحساب[١]

وقد أورد ابن حجر فى شرحه لقول البخارى ما يفيد أن ما ذكره البخارى من معنى للدين هو " كلام أبى عبيدة أيضاً قال الدين الحساب والجزاء يقال فى المثل كما تدين تدان[٢] ثم تتبع ابن حجر ما أورده البخارى فى قوله كما تدين تدان " بأن ذلك ورد فى حديث مرفوع أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن النبى، وهو بهذا مرسل رجاله ثقات، وما رواه عبد الرزاق بهذا الإسناد أيضاً عن أبى قلابة عن أبى الدرداء مرفوعاً وأبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء ، وله شاهد موصول من حديث ابن عمر أخرجه ابن عدى وضعفه"[٣] وبعد أن يؤصل ابن حجر الحديث ويورد طرقه ـ يقول " وللدين معان أخرى: منها العادة، والعمل، والحكم، والحال، والخُلق، والطاعة والقهر والملة، والشريعة، والورع، والسياسة وشواهد أخرى"[٤]

٣ـ بمعنى الدين الباطل الذى عليه أهل الشرك

روى البخارى فى صحيحه وأبو داود فى سننه عن عائشة رضى الله عنها قالت " كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون بالحُمْس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتى عرفات ثم يقف بها يفيض منها فذلك قوله (﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [٥]

من دان دينها أى تبعهم واتخذ دينهم ديناً [٦] والمقصود به دين أهل الشرك من مكة.

---

(١) البخارى بهامش فتح البارى ج ٨ ص ١٥٦ كتاب التفسير باب ما جاء فى فاتحة الكتاب

(٢) فتح البارى ج ٨ ص ١٥٦ كتاب التفسير باب ما جاء فى فاتحة الكتاب

(٣) نفسه

(٤) نفسه

(٥) صحيح البخارى بهامش فتح البارى ج ٨ ص ١٨٦ـ ١٨٧ ، والآية ١٩٩ من سورة البقرة.

(٦) انظر أبو داود باب الوقوف بعرفة ج ٥ ص ٣٨٩ شرح الحافظ ابن قيم الجوزية الناشر المكتبة السلفية ـ ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .

وفى رواية أخرى للبخارى عن عروة " والحُمسُ قريش وما ولدت "[١] والأحمس الشديد على دينه، وكانت قريش تُسمى الحُمْس، وكان الشيطان قد استهواهم فقال لهم إن عظمتم غير حرمكم استخف الناس بحرمكم فكانوا لا يخرجون من الحرم"[٢]

أما قوله " والحُمس قريش ما ولدت " عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال : كانت قريش إذا خطب إليهم الغريب اشترطوا عليه أن ولدها على دينهم فدخل فى الحُمْس من غير قريش ثقيف، وليث وخزاعة، وبنو عامر بن صعصعة يعنى وغيرهم، وعرف بهذا أن المراد بهذه القبائل من كانت له من أمهاته قريشية لا جميع القبائل المذكورة [٣] - المقصود هنا أن من دان بدين أهل مكة وهو الشرك والكفر بالله كان يفعل فعلهم . فجاء رسول الله ﷺ فخالفهم، وأمر المسلمين أن يفيضوا من حيث أفاض الناس. والمقصود به إبراهيم عليه السلام. فقد روى ابن أبى حاتم وغيره عن الضحاك أن المراد بالناس هنا إبراهيم عليه السلام وعنه المراد به الإمام وعن غيره آدم عليه السلام وحجة من ذهب إلى أن المقصود بالناس إبراهيم عليه السلام على اعتبار أن الحج من ميراث إبراهيم. ومحمد مأمور أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً ولكن ابن حجر رجح أن المقصود بالناس هنا العموم وهذا ما تستريح إليه النفس[٤]

٤ ـ وتأتى كلمة الدين فى السنة بمعنى الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ

روى البخارى بسنده عن عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى قالت " لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية "[٥] وهذا جزء من حديث طويل.

---

(١) البخارى بهامش فتح البارى ج ٣ ص ٦٠٢

(٢) نفسه ج ٣ ص ٦٠٣

(٣) نفسه ج ٣ ص ٦٠٤

(٤) نفسه

(٥) البخارى بهامش فتح البارى ج ٧ ص ٢٣٠كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة

يذكر ابن حجر أن قول عائشة " لم أعقل أبوى " بمعنى أبا بكر وأم رومان قوله "يدينان الدين" بالنصب على نزع الخافض أى يدينان بدين الإسلام[١]

والشاهد هنا أن الدين فى حديث عائشة استخدم بمعنى الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ . وفيه أن أبا بكر وأم رومان من السابقين فى الإسلام بدلالة هذا الحديث وأن عائشة منذ أن وعيت وأبواها على الإسلام ، وقد وردت روايات متعددة تفيد أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال.

obeikandl.com

(١) نفسه ج ٧ ص ٢٣٢

المبحث الثالث

دحض دعوى نجاة غير المسلم بعد ظهور الإسلام وبلوغه دعوته ودفع توهم نجاة أحد من أتباع الأديان بعد مجئ الرسول ﷺ بالإسلام.

نقف هنا وقفة مع بعض الذين يتوهمون أن النجاة من النار يمكن أن تتحقق لأحد من أتباع الأديان كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها بعد بعثة محمد ﷺ ـ وأكثر ما يكون الخلط عند استعمال بعض الآيات الواردة فى القرآن على عمومها ـ مع أن المقصود منها التقييد بدين الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ .

يقول " المراغى " فى تفسير قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ أى أن جميع الملل والشرائع التى جاء بها الأنبياء روحها الإسلام والانقياد والخضوع وإن اختلفت فى بعض التكاليف وصور الأعمال وبه كان الأنبياء يُوصَفُوْنْ فالمسلم الحقيقى من كان خالصاً من شوائب الشرك مخلصاً فى أعماله مع الإيمان من أى ملة كان وفى أى زمان وجُد، وهذا هو المراد بقوله عز وجل ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (١)

ونرى أن هذا الإطلاق يجب أن يقيد لأن القول بأن المسلم من كان مخلصاً فى أعماله مع الإيمان من أى ملة كان وفى أى زمان وجُد " فيه نوع من الإيهام وكان يجب أن يقيد هذا بمن كان شأنه قبل بعثة محمد ﷺ ـ أما بعثة محمد ﷺ ـ فلا يقبل من أحد صرفاً ولا عدلاً إلا إذا آمن بمحمد ﷺ وتخلص من معتقداته السابقة ـ وبناءً على ذلك فلا إسلام بعد بعثة النبى إلا الإسلام بمعناه الخاص الذى ختم الله به الرسالات، ويتضح ذلك جلياً فى دعوة النبى لليهود أن يسلموا ـ فقالوا أسلمنا قبلك ـ وهم يقصدون الإسلام العام ـ فدعاهم النبى ﷺ إلى أداء فريضة الحج أحد أركان

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥ وانظر تفسير المراغى ج ٣ ص ١١٩

الإسلام بمعناه الخاص . فأبوا فأنزل الله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]

ونفس الأمر حدث مع النصارى الذين حضروا من نجران ودار بينهم وبين النبى ﷺ حوارٌ ولما وجدهم النبى من عشاق الجدل وعُباد الحوار عرض عليهم الإسلام. أخرج ابن سعد فى الطبقات عن الأزرق بن قيس قال : قدم على النبى ﷺ أسقف نجران والعاقب فعرض عليهما الإسلام فقالا : إن كنا مسلمين قبلك قال كذبتما ، وأنه منع منكما الإسلام ثلاث قولكما: اتخذ الله ولداً، وأكلكما لحم الخنزير ، وسجودكما للصنم " [٢]

ولذلك تكون عبارة الشيخ المراغى عن المسلم الحقيقى " من كان خالصاً من شوائب الشرك مخلصاً فى أعماله مع الإيمان من أى ملة كان، وفى أى زمان وجُد وهذا هو المراد بقوله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٣] عبارة مطلقة فى موضع يجب فيه التقييد بمن كان قبل بعثة النبى ﷺ أما بعد بعثة محمد فإن المسلم الحقيقى هو من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأخلص وجهه لله وعمل بموجبها.

وقد التفت إلى هذا المعنى الدكتور " عبد الحليم محمود " فى لفتة رائعة منه لتحديد من هو المسلم الحقيقى يقول " والإسلام هو الدين فى إطلاقه المطلق وفى تحديده المحدد فمما لا شك فيه أنه لا دين خارج إسلام الوجه لله، وأن الدين فى معناه الصحيح إنما هو إسلام الوجه لله ، ومن هنا كان لفظ الإسلام أصدق تعبير عن الدين وكانت القضية ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٤] قضية لا شك فيها وكانت القضية المترتبة على هذه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧ وانظر تفسير الطبرى المجلد الثالث ص ٢٤٢ ولباب المنقول فى أسباب النزول للسيوطى ص ٨٣بهامش المصحف

(٢) نفسه ص ٧٨ - ٧٩

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٤) سورة آل عمران الآية ١٩

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١] قضية هى الأخرى لا شك فيها إن كل من يرفض إسلام الوجه لله إنما يرفض الدين، وبمقدار بُعد الإنسان أو قربه من إسلام الوجه لله يكون قربه أو بعده من المعنى الصادق للدين، وإسلام الوجه لله هو التوحيد وإذا كانت سمة النصرانية فى وضعها الراهن هى التثليث فإن سمة الإسلام هى التوحيد. إنها توحيد الله بالربوبية. بالخلق والإيجاد وبالإعطاء والمنع "[٢]

فلا يستقيم إسلام إنسان مع قوله عيسى ابن الله ولا قوله عزير ابن الله وهذه قيود توضع على كلمة الإسلام بالمعنى العام، وأيضاً بالمعنى الخاص فما جاء موسى ولا عيسى ولا محمد ﷺ بغير توحيد الله

إننا ننطلق من قوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٣] فى حكمنا على كل نصرانى أو يهودى أو بوذى أو هندوسى سمع بالإسلام وبلغته دعوته ثم لم يؤمن ويصدق بمحمد ﷺ فهو كافر ومشرك وإن مات على ذلك فهو مخلد فى النار أبد الآبدين.

يقول ﷺ :" والذى نفسى بيده ما من يهودى ولا نصرانى يسمع بالذى جئت به ثم لا يؤمن إلا كان من أصحاب النار "[٤]

ولابد من الإشارة إلى بعض الآيات القرآنية التى يحاول البعض أن يفهم منها خطأ أن اليهود والنصارى، والصابئين إذا آمنوا بالله واليوم الآخر فهم ناجون في الآخرة ويستشهدون بقول الله تعالي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[٥] وأكثر ما نسمع الكلام حول هذه الآية حين يكون الحديث عن العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أرباب الديانات الكتابية .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٢) الإسلام والإيمان ص ٥٧ -٥٨ – ٥٩ للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود الطبعة الثانية دار الكتب الحديثة

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٤) انظر شرح الطحاوى ص ١٧٠ والحديث أخرجه مسلم تحت رقم ١٥٣ انظر هامش الطحاوى ص١٧٠.

(٥) سورة البقرة الآية ٦٢.

فيحاول البعض أن يضيع الحدود الفاصلة بين الحق والباطل وبين الصحيح والفاسد من الأديان بعد تحريفها وتبديلها.[١] فيؤولون هذه الآيات ويخرجون معانيها عما تعارف عليه جمهور العلماء من المفسرين وغيرهم من علماء الإسلام .

يذكر الرازي في تفسيره لهذه الآية أن المراد الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلي الله عليه وسلم بعيسي عليه السلام مع البراءة من أباطيل اليهود والنصارى مثل قس بن ساعدة وبحيري الراهب وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي، ووفد النجاشي فكأنه قال : إن الذين آمنوا قبل مبعث محمد والذين كانوا على الدين الباطل الذي لليهود والذين كانوا على الدين الباطل الذي للنصارى كل من آمن منهم بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبالله وباليوم الآخر وبمحمد فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٢].

ونلاحظ أن الإمام " الرازي" فهم من الآية أن من آمن من هؤلاء بالله واليوم الآخر ثم من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا حزن .

وإذا كنا قد أخذنا نموذجاً لتفسير الآية من أحد القدامى وهو الإمام الرازي فإننا سنعرض رأي أحد المُحدثين في تفسيره للآية :

يقول الأستاذ سيد قطب " الذين آمنوا يعني بهم المسلمين والذين هادوا من اليهود، والنصارى هم أتباع عيسي عليه السلام، والصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب (قبل البعثة) الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم واعتزلوا عبادة قومهم دون أن يكون لهم دعوة فيهم فقال عنهم المشركون إنهم صبأوا أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك. والآية تقرر أن من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعاً وعمل صالحاً فإن لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم

---

(١) انظر التفسير الكبير للرازي المجلد الثاني ج ٣ ص ١١٢

(٢) ظلال القرآن ج ١ ص ٧٥.

يحزنون فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم وذلك طبعاً قبل البعثة المحمدية أما بعدها فالآية تحدد شكل الإيمان الأخير فلا نجاة لأحد إلا بدخوله في دين محمد صلي الله عليه وسلم وهو الإسلام [١] والإسلام هنا بمعناه الخاص يقول تعالي (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) [٢] رقم الآية خطأ

والذي دعانا أن نعرض الآية وتفسيرها عند أحد القدامى وأحد المُحْدَثِيْن لنبين أنه ما كان يخطر على بال أحد أن النجاة في الآخرة من الممكن أن تتم لأحد دون الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن البعض من الكُتاب ـ هداهم الله ـ يحاول أن يضيع الحدود الفاصلة بين المسلمين من أتباع محمد، وبين غيرهم من أتباع الأديان الأخرى فيقول " إن المسلمين في لغة القرآن هم المؤمنون بالله الواحد، وليسوا أتباع دين خاص [٣]

وآخر في حديث له في التلفاز بمناسبة الإسراء والمعراج يعتبر أن ما جاء في حديث الإسراء والمعراج من قوله ﷺ عن لقائه بالأنبياء وأخوته لكل منهم " أخي موسى أخي عيسى" يعتبر هذا إعلان بالأخوة بين الإسلام والمسيحية [٤] وهذا نوع من الخلط والتمويه فمحمد ﷺ وعيسى دينهم واحد ولكن شتان بين أتباع عيسى بعد بعثة محمد ﷺ وأتباع محمد، ولا يمكن أن نقول إنه يجمعهم الإسلام على اعتبار أن المسلمين فى لغة القرآن ليسوا أتباع دين خاص – كما يقول البعض – إنه وكما يقول البيرونى " إن الشهادة بكلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) شعار المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات (أى اتخاذ يوم السبت يوماً مقدساً) علامة اليهود " [٥] فأى إسلام إذن مع التثليث ، وعند من نجد التوحيد بعد بعثة محمد ﷺ ؟ إن التوحيد بمعناه الصحيح ليس عند أحدٍ من الأمم إلا عند أتباع دين الإسلام بمعناه الخاص.

---

(١) ظلال القرآن ج ١ ص ٧٥

(٢) سورة النساء الآية ٦٥

(٣) انظر جريدة الأهرام القاهرية ١٩٨٧/٣/١٧

(٤) انظر مقدمة الدكتور يحيى هاشم لكتاب اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام ص ١١

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٩ لأبى الريحان البيرونى – عالم الكتب ١٩٨٣م

كما يحاول البعض أن يخلط – بين الإسلام بمعناه الخاص ومعناه العام ـ يقول أستاذنا الدكتور يحيى هاشم " إن بعض الباحثين الذين نكن لهم الاحترام عندما يكتبون فى مجالات غير تخصصهم تنزلق بهم الأقدام فى هذا المقام. إذ يخلط بعضهم بين كلمة الدين عندما يراد بها المعنى اللغوى العام الذى يشمل الصحيح وغيره، وكلمة الدين عندما يراد بها المعنى الخاص الذى لا ينطبق على غير الصحيح فيكون عندئذ خاصاً بالإسلام يخلط بين الاستعمالين فيقتنص شواهد من المقام الأول يستعملها فى خصائص من المقام الثانى وعندئذ يعلن تعددية الأديان فى نظر الإسلام "(١)

ثم ينتهى فضيلته إلى وضع بعض القواعد الهامة فى تحديد الدين بمعنى الإسلام " لا إسلام ولا دين مقبولاً عند الله بعد بعثة محمد ﷺ إلا بالإيمان به وباتباع كل ما جاء به ، والقرآن صريح وقاطع فى وصف عقائد أهل الكتاب بأنها كفر وشرك وبأن مصير أصحابها إلى النار "(٢) وإن رفضنا لما عليه أتباع أهل الأديان الأخرى بعد التحريف والتبديل لا يعنى رفضنا للتوراة، والإنجيل الصحيحين إذ يعتقد المسلمون أن الله أنزل كتاباً على موسى اسمه التوراة وأنزل الإنجيل على عيسى ولكن أين هما؟ إن القرآن يعلن ويتحدى اليهود وكذا النصارى ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣) ومن ثم يجب أن توضع الأمور العقدية فى وضعها الصحيح فلا نحرف ديننا ولا نأتى على عقيدتنا لحساب أى طرف وتحت أى ظرف لأن أتباع الأديان الأخرى يحافظون على عقيدتهم ويتمسكون بها، وإذا فعلنا فالخسارة ستلحق بنا دنيا وأخرى. وسنكون على خطر عظيم إذا نحن ساومنا الغير على الحق الذى شرفنا الله به ـ ولذلك حسم الله قضية الدين بمعنى الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ واعتبر أن أتباعه هم وحدهم أصحاب الحق والهدى، وأن غيرهم على ضلال وشقاق ـ يقول تعالى ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

---

(١) مقدمة كتاب اليوم الآخر ص ١٢

(٢) نفسه ص ١٣ ، ١٤

(٣) سورة آل عمران الآية ٩٣

حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١]

يذكر البغوى أن الآية نزلت فى رؤساء اليهود[٢] وفى نصارى أهل نجران وذلك أنهم خاصموا المسلمين فى الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله وأن دينها أفضل، وكفروا بمحمد ﷺ والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك فقال تعالى (قل) يا محمد (بل ملة إبراهيم) بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ثم عَلَّمَ المؤمنين طريق الإيمان فقال جل ذكره (قولوا آمنا بالله) الآية ـ ثم قال سبحانه **(فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا)** أى أتو بإيمان **كإيمانكم وتوحيد كتوحيدكم**[٣] فقد اهتدوا يقول سيد قطب " رحمه الله " قوله **(فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا)** هذه الآية تسكب فى قلب المؤمن الاعتزاز بما هو عليه ، ومن لا يؤمن بما يؤمن به فهو المشاق للحق المعادى للهدى، وأما المؤمن فإن الله هو وليه وهو الذى يدافع عنه "[٤] هذا هو المعنى الصحيح الذى يجب أن يعتقد فيه المسلم ويعتنقه من ناحية المفاضلة بين الدين الحق المتمثل فى الإسلام وبين غيره من الأديان.

وتبقى هنا وقفة هامة مفادها أن المفاصلة فى أمور العقيدة بين المسلم وبين غيره شيء ومعاملة المسلم مع غيره من أتباع الأديان الأخرى فى المجتمع شيء آخر.

وكما يقول أستاذنا الدكتور يحيى هاشم " إن الاستقرار والتعايش وتجنب الفتنة لا يكون قط بمحاولات طمس الحدود ما بين العقيدتين فهذا لا يرضى أياً من الطائفتين لأنه يتعدى عليهما معاً.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٣٥ـ ١٣٦ ـ ١٣٧

(٢) انظر لباب المنقول فى أسباب النزول للسيوطى بهامش المصحف ص ٣٠

(٣) انظر تفسير البغوى ج ١ ص ٤٧

(٤) فى ظلال القرآن ج ١ ص ١١٢ بتصرف يسير

إن الطريق إلى تجنب الفتنة الطائفية كان دائماً وسيكون بضمان من شريعة الله التى تعطى أهل الكتاب حقوقهم الاجتماعية كاملة " لهم ما لنا وعليهم ما علينا "[١] أى أن المسلم يجب عليه أن يتبع هدى الله وهدى رسول الله ﷺ فى معاملة أهل الكتاب ما لم يبدأوا بعدوان أو يظاهروا على المسلمين. وهم إن لم يفعلوا فلهم عهد الله وعهد رسوله ﷺ[٢] وكفى بعهدهما أمناً وسلاماً واستقراراً. وهذه الأمور هى فحوى المعاهدات التى تمت بين المسلمين وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى[٣] الذين ختُم العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ.

بقوله " وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ "[٤]

وكذلك ختمت معاهدة نصارى نجران بقوله ﷺ " وعلى ما فى هذه الصحيفة بجوار الله وذمة محمد رسول الله حتى يأتى الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مبتلين بظلم "[٥]

وعلى هذا الأساس سارت معاهدات الخلفاء الراشدين ، ومن جاءوا بعدهم من خلفاء الدولة الإسلامية :

وكانت مصر مثالاً يحتذى به فى الأمن والأمان لأهل الكتاب الأمر الذى جعلهم يدخلون فى الإسلام طواعية - بعد أن قارنوا بين المسلمين - وبين غيرهم من الرومان على الرغم من أنهم كانوا على دين واحد. يذكر " السير توماس أرنولد " أن الفتح الإسلامى جلب إلى القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها قبل ذلك، وقد تركهم عمرو بن العاص أحراراً، وكفل لهم الحرية فى إقامة شعائرهم الدينية ، وخلصهم بذلك من هذا التدخل المستمر الذى أنْوا من عبئه الثقيل فى ظل

---

(١) انظر مقدمة فضيلته لكتابنا اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام ص ١٢

(٢) انظر النماذج الرائعة لمعاملة المسلمين لأهل الكتاب خاصة النصارى فى كتاب الدعوة إلى الإسلام للسير توماس أرنولد ص ٩٤ - ١٢٢

(٣) انظر نص معاهدة النبى ﷺ ليهود المدينة فى سيرة ابن هشام ج٢ ص ٨٨، ٨٩، و ٩٠و ٩١

(٤) نفسه ج ٢ ص ٩١

(٥) مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٤٢٧

الحكم الرومانى، ولم يضع عمرو يده على شيء من ممتلكات الكنائس، ولم يرتكب عملاً من أعمال السلب والنهب، وليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم فى الإسلام على نطاق واسع كان راجعاً إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حُكامهم الجدد [١] ويبدو أن هذا التسامح لم يكن فترة محدودة وإنما كان على طول امتداد الحكم الإسلامى والمرجع فى هذا فضلاً عن كتب التاريخ الإسلامى تاريخ الكنيسة يقول توماس أرنولد " ولقد أمدنا تاريخ كنيستهم بكثير من الأمثلة عن رجال الكنيسة الذين تمتعوا بعطف الأمراء الذين حكموا بلادهم، ونعم القبط فى عهدهم بأقصى درجات الطمأنينة، وذلك أدى إلى اندماج كثير من المسيحيين فى جماعة المؤمنين "[٢] وهذا الذى ينبغى أن يكون دوماً فى علاقة المسلمين بأهل الكتاب لهم ذمة الله ورسوله. لأن الفتنة تأتى بخسارة لا يعلم مداها إلا الله. ولن يستفيد منها أحد إلا الذين يحرصون على بث الفُرقة بين أبناء الوطن الواحد. وقد تنبه عقلاء أهل الكتاب لهذا. فجاءت تصريحاتهم المعلنة لتصب فى مصلحة الجماعة يقول الأنبا شنودة " إن الأقباط فى ظل حكم الشريعة يكونون أسعد حالاً وأكثر أمناً، ولقد كانوا كذلك فى الماضى حينما كان حكم الشريعة هو السائد نحن نتوق إلى أن نعيش فى ظل " لهم ما لنا وعليهم ما علينا "[٣]

والأنبا " يوحنا قتله " وهو كاثوليكى مصرى يقول " أوافق على أن أكون مصرياً مسيحياً تحت حضارة إسلامية بل أنا مسلم ثقافة مائة فى المائة. أنا عضو فى الحضارة الإسلامية كما تعلمتها فى الجامعة المصرية تلك الحضارة التى تُعلى من قيمة الإنسان كخليفة عن الله فى الأرض، وإنه ليشرفنى وأفتخر أننى مسيحى عربى أعيش فى حضارة إسلامية ، وفى بلد إسلامى، وأساهم وأبنى مع جميع المواطنين هذه الحضارة الرائعة "[٤] وهذه النظرة التى لا تخلط بين الأمور هى التى نتمنى أن تسود، ونسأل الله لأمتنا وأوطاننا أن يجنبها شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يهئ للمسلمين أمر رشد حتى يعزوا ما أعز الله، ويذلوا ما أذل الله ورسوله.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٣

(٢) انظر الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٨ و انظر مقدمة الدكتور يحيى هاشم لكتاب اليوم الآخر ص ١٢ -١٣

(٣) الإسلام والسياسة د/ محمد عمارة ص ٢٠٤ نقلاً عن صحيفة الأهرام ١٩٨٥/٣/٦م

(٤) نفسه ص ٢٠٥

المبحث الرابع

الملة فى اللغة والاصطلاح

من المصطلحات الشائعة فى دراسة الأديان الملة ـ فلزم أن نحقق معناها اللغوى والشرعى ـ وإطلاقاتها فى القرآن والسنة حتى يتبين لنا مدى توافقها مع معنى الدين من الناحيتين اللغوية والشرعية.

أولاً: الملة فى اللغة

ورد فى لسان العرب لابن منظور أن الملة تطلق على الشريعة والدين ، وفى الحديث لا يتوارث أهل ملتين، وتطلق الملة على الدين حقاً كان أو باطلاً كملة الإسلام كدين حق، وملة النصرانية واليهودية كدينين باطلين[١] وتطلق الملة على الشرك أيضاً.

وتطلق الملة على الطريقة ـ ثم نقلت إلى الشرائع من حيث أن الأنبياء يعلمونها ويسلكونها [٢] وتطلق الملة على الطريقة المسلوكة والسنة ، ويرى بعضهم أن ذلك من إملال الكتاب لأن السنة تُمَّل، وتكتب ليعمل بها ويرى آخرون أن ذلك من قولهم طريق ممل ومليل مسلوك مُعدَّة للسير، والملة تُوطأ للناس ليسيروا عليها [٣].

ثانيا: الملة فى الاصطلاح الشرعى

تطلق الملة فى الشرع على ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصل بها إلى جوار الله [٤] ومن ثمَّ فهى تطلق على الدين من هذا الوجه يقول تعالى ﴿ **وَمَن**

---

(١) لسان العرب ج ٦ ص ٤٢٧١وانظر مختار الصحاح ص ٥٦٤

(٢) الكليات لأبى البقاء ج ٢ ص ٣٢٨، و ٣٢٩

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد الثانى من الشين إلى الياء ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠م مجمع اللغة العربية

(٤) المفردات للراغب الأصفهانى ص ٤٩٢

يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [١] وفي قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] إن الملة أطلقها الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية على الإسلام الخالص الصريح الذى لا يرغب عنها وينصرف إلا ظالم لنفسه مستهتر بها، إن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم ـ ولكن الله يدلهم على حقيقة دين إبراهيم وأنه الميل عن الشرك ـ ويؤكد هذه الحقيقة مرتين: مرة بأنه كان حنيفاً ومرة بأنه ما كان من المشركين فما بالهم هم المشركون [٣]

ويقول عز وجل ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[٤]

والمعنى اتبعوا ملة إبراهيم لأنها داخلة فى ملة محمد ﷺ فإن قيل فما وجه قوله (ملة أبيكم) وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟ قيل خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم، وقيل خاطب به جميع المسلمين وإبراهيم أب لهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب[٥]

وهذه الإطلاقات جميعها تشعر بأنه ليس ثمة فرق بين الدين الصحيح وبين الملة فى إطلاق الشرع يقول أستاذنا الدكتور عوض الله حجازى " لقد ظهر لى بعد البحث الدقيق واتضح لنا بعد المراجعة الواسعة أنه ليس هناك فرق واضح بين الدين والملة شرعاً لأن الله تعالى قد أطلق الملة على الدين الحق فى كثير من آيات القرآن الكريم "[٦] وقد استعرضنا آيات القرآن التى تبين أن الملة ترد بمعنى الدين الحق.

وإذا كان هناك من فرق بين الدين الحق والملة. فذلك الفرق لغوى لا شرعى.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٣٠

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٥

(٣) انظر فى ظلال القرآن ج ١ ص ١٠٩ ـ ١١٠ وانظر ص ٤٢٨

(٤) سورة الحج الآية ٧٨.

(٥) مختصر تفسير البغوى ج ٢ ص ٦١٩

(٦) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ٩، ١٠

يذكر أبو هلال العسكرى فى كتابه الفروق " الفرق بين الدين والملة أن الملة اسم لجملة الشريعة، والدين اسم لما عليه كل واحد من أهلها ألا ترى أنه يقال فلان حسن الدين، ولا يقال حسن الملة وإنما يقال هو من أهل الملة ويقول دينى دين الملائكة ، ولا يقول ملتى ملة الملائكة لأن الملة اسم للشرائع مع الإقرار بالله، والدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقرب إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع مثل دين أهل الشرك، فاليهودية ملة لأن فيها شرائع، وليس الشرك ملة ، وقد يسمى كل واحد من الدين والملة باسم الآخر فى بعض المواضع لتقارب معنيهما[١] وهذا التوضيح من أبى هلال يضبط مصطلح الملة وإطلاقاتها. حتى يكون المرء على بينة من كلامه خاصة فيما يتعلق بمصطلحات الأديان.

ويضيف الشهر ستانى بُعداً آخر فى التفريق بين الدين والملة إذ يقول : إن الإنسان لما كان محتاجاً إلى اجتماع مع الآخرين من بنى جنسه فى إقامة معاشه والاستعداد لميعاده، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعارف حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله، ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هى الملة " [٢] فقد نظر الشهر ستانى إلى الاجتماع على هيئة أو مبدأ وأطلق عليه اسم الملة ولكنه يبين أن الملة وضعها لا تتصور إلا بوضع شارع " أى نبى " يكون مخصوصاً من الله بآيات تدل على صدقه [٣] أى أن الملة التى يجتمع عليها لابد وأن تكون على الحق.

---

(١) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ص ٢١٤

(٢) الملل والنحل للشهر ستانى ص ٣٨

(٣) نفسه ص ٣٨

إطلاق الملة فى القرآن الكريم على الدين الباطل

يقول تعالى ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[١] أورد السيوطى فى لباب المنقول عن الثعلبى عن ابن عباس قال : إن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلى النبى ﷺ إلى قبلتهم. فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأبوا أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى) ، ونلاحظ هنا أن الملة الواردة فى الآية يراد بها الدين الباطل بدليل قول الله عز وجل للنبى ﷺ فى نفس الآية ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[٢]

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى فى سورة الأعراف (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على ﴿ ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٣] فالملة هنا استعملت بمعنى الدين الباطل ومنه قوله تعالى ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴾ والملة هنا يُعنى بها النصرانية كما ورد عن ابن عباس ومقاتل والكلبى أو المقصود بها ملة قريش ودينهم كما ورد عن مجاهد وقتادة[٤]

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠ وانظر لباب المنقول فى أسباب النزول للسيوطى بهامش المصحف ص ٢٨

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٠

(٣) سورة الأعراف الآية ٨٨ -٨٩

(٤) سورة ص الآية ٧ وانظر تفسير البغوى ج ٢ ص ٧٩٧ والجلالين ص ١٣٧

إطلاقات الملة فى السنة

نأتى هنا ببعض استخدامات الملة فى السنة حتى نتبين المقصود بإطلاقاتها، ودلالاتها عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال: رسول الله ﷺ " لا يتوارث أهل ملتين " [١] فقد ذهب الجمهور إلى أن المراد بالملتين الكفر والإسلام فيكون كحديث " لا يرث المسلم الكافر"[٢]

وهناك إطلاق آخر للملة فى السنة بمعنى الدين الحق فقد وردت رواية لحديث " كل مولود يولد على الفطرة " أى على الملة بدلاً من الفطرة فى قوله ﷺ " ما من مولود إلا ويولد على الملة بدلاً من الفطرة، والدين فى قوله (فأقم وجهك للدين حنيفاً) هو عين الملة. كما يقول ابن حجر [٣]

وإطلاقات الملة فى الأحاديث التى أوردناها لم تخرج عما ورد فى القرآن أى أن الملة تأتى أحياناً بمعنى الدين الحق . وقد وردت فى السنة بمعنى التوحيد فى قول النبى ﷺ فى أذكار الصباح " أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين"[٤] فملة إبراهيم الواردة فى الحديث هى التوحيد، ودين محمد ﷺ ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً، وكلمة الإخلاص: هى شهادة أن لا إله إلا الله، وفطرة الإسلام: هى ما فطر عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له والاستسلام له عبودية وذلاً وانقياداً وإنابة وتأتى أحياناً بمعنى الدين الباطل، وقد أوردنا شواهد على ذلك.

---

(١) رواه أحمد والأربعة إلا الترمذى وأورده صاحب سبل السلام ج ٤ ص ١٥١

(٢) نفسه ج ١ ص ١٥٢

(٣) فتح البارى ٢٩٣/٣.

(٤) الحديث أخرجه أحمد ٤٠٦/٣ ، ٤٠٧ والدارمى ٢٩٢/٢ والنسائى فى عمل اليوم والليلة وابن السنى من حديث عبد الرحمن بن أبزى وسنده صحيح انظر هامش الطحاوى ص ٥٤

المبحث الخامس
النِحلَة فى اللغة والاصطلاح

النحلة فى اللغة

تطلق النحلة فى اللغة على عدة معان منها :

الدعوى تقول انتحل فلان شِعْر فلان أو قول فلان إذا ادعى أنه قائله وتنحله ادعاه وهو لغيره.

ونحله القول ينحله نحلاً نسبه إليه ونحلته القول أنحله نحلاً إذا أضيف إليه قولاً قاله لغيره وادعيته عليه وفلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إليه، ودان به.

نحله شيئاً أعطاه من ماله وخصه به[١].

النحلة العطية ومنه قوله تعالى ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[٢] أى عطية ومنحة خالصة

النحلة الديانة والمذهب ومنه كتاب الملل والنحل [٣]

وقد وردت النحلة فى السنة بمعنى العطية ورد فى صحيح مسلم " إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا كل ما نحلته عبداً حلال " معنى نحلته أعطيته [٤]

وهذه المعانى كلها تدور حول العطية والهبة والانتساب إلى الشئ وادعائه بالحق أو بالباطل.

---

(١) انظر لسان العرب ج ٦ ص ٤٣٦٩والقاموس المحيط ج ٤ ص ٣٣٨

(٢) سورة النساء الآية ٤.

(٣) محيط المحيط للبستانى ج ٢ ص ٢٠٤٩وانظر الرائد ص ١٤٨٨ ، ومعجم متن اللغة ج ٥ الشيخ أحمد رضا

(٤) مسلم بشرح النووى ج ١٧ / ١٨ ص ١٩٧باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار

النحلة فى الاصطلاح

تطلق على المذهب أو الديانة أو ما ينتسب إليه المرء من دين أو مذهب [١] أو هى: المذاهب المنشعبة عن كل دين بتعدد المجتهدين[٢] كما يقول التهانوى وقد استعمل ابن حزم النحلة بمعنى التمسك بالسنة يقول فى كتابه الفصل "وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا أن كل من خالف دين الإسلام، ونحلة السنة ومذاهب أصحاب الحديث فإنه عارف بضلال ما هم عليه(أى اليهود والنصارى) [٣]

ثم يقول " فنحمد الله كثيراً على ما هدانا له من الإسلام ونحلة السنة واتباع الآثار الثابتة "[٤]

وابن حزم بصنيعه هذا يُعد مخالفاً لإجماع العلماء على التغاير بين الملة والنحلة والمذهب . يقول أستاذنا الدكتور " عوض الله حجازى " معلقاً على نص ابن حزم " عطف ابن حزم السنة ومذاهب أصحاب الحديث على دين الإسلام وهو فيما يبدو من عطف المترادفات ذلك أنه ليست السنة مخالفة لدين الإسلام وليس مذهب أصحاب الحديث خارجاً عنه "[٥] وهذا التغاير عند ابن حزم رأى له لا ينقض ما اشتهر بين العلماء من التغاير بين الملة والنحلة والمذهب عموماً[٦]

وهذا التغاير هو ما نذهب إليه مع أستاذنا الدكتور " عوض الله حجازى " مخالفة لما ذهب إليه ابن حزم فى فصله.

---

(١) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ١٠
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ج ٦ ص ١٣٣٩
(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٩٤مكتبة السلام العالمية
(٤) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ١٠
(٥) مقارنة الأديان ص ١١
(٦) نفسه

المبحث السادس

الدين فى اصطلاح الغربيين

تعريف الدين عند الغربيين

تنوعت التعريفات المقترحة للدين عند علماء الغرب تبعاً للتوجهات الفكرية التى ينتمى إليها هؤلاء الباحثون فالبعض يعد الدين ظاهرة تنبع من الفرد ومن ثمَّ صاغ التعريف على هذا الاعتبار.

والبعض الآخر عدَّ الدين ظاهرة اجتماعية ـ ووضع له تعريفاً يخدم وجهة نظره وآخرون جردوا الدين عن المعانى الغيبية ـ وألغوا فكرة الألوهية تماماً من تعريف الدين، وسوف نعرض بعض هذه التعريفات ونحاول أن نستخلص تعريفاً يجمع بين التعريفات المختلفة.

كلمة " دين " باللغة العربية تقابلها كلمة "Religion " المقتبسة من اللغة اللاتينية التى يردها معظم الباحثون إلى مادة تفيد معنى الربط الشامل لربط الأفراد ببعض الأعمال من جهة التزامهم لها وفرضها عليهم، ولربط الناس بعضهم ببعض ، ولربط البشر بالآلهة.

وكلمة "Religio " اللاتينية تدل فى غالب استعمالها على معنى الشعور بحق الآلهة مع الخشية والإجلال.

أما كلمة "Religion " الحديثة فتطلق على معان ثلاثة:

١ـ نظام اجتماعى لطائفة من الناس يؤلف بينهما إقامة شعائر موقوتة وتعبد ببعض الشعائر، وإيمان بأمر هو الكمال الذاتى المطلق، وإيمان باتصال الإنسان بقوة روحانية أسمى منه حالّة فى الكون أو متعددة أو هو الله الواحد.

٢ـ حالة خاصة بالشخص مؤلفة من عواطف وعقائد ومن أعمال عادية تتعلق بالله.

٣ـ احترام فى خشوع لقانون أو عادة أو عاطفة وهذا المعنى أقدم معانى الدين[١]

تلك هى المعانى العامة لكلمة "Religion" ـ بمعنى الدين ـ ومن التعميم إلى التعريفات المحددة التى عرَّف بها الباحثون فى الغرب كلمة " الدين "

١ - يعرف " روبرت سبنسر " الدين بأنه " الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية[٢] أو هو الإحساس الذى نشعر به حينما نغوص فى بحر من الأسرار [٣]

٢ـ أما ماكس ميلر فيعرف الدين بأنه محاولة تصور ما لا يمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه.

هو التطلع إلى اللانهائى. هو حب الله [٤].

أو هو "إدراك اللانهائى أو " اللا محدود " فى ظواهر خاصة بدرجة مؤثرة على الشخصية الأخلاقية للإنسان " [٥]

٣ـ أما " هيجل " فيعرف الدين بأنه " المعرفة التى تكتسبها النفس أو الروح المحدود لجوهرها كروح مطلقة " [٦]

٤ـ يعرف " دور كايم " الدين بأنه مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة. اعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية تسمى الملة "[٧] وهذا التعريف سيكون لنا معه وقفة أثناء التعليق على التعريفات التى وضعها الغربيون

٥ـ يقول " سالمون رياناك " الدين هو مجموعة التورعات التى تقف حاجزاً أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا " [٨]

---

(١) انظر الدين والوحى والإسلام ص ١٩ ـ ٢٠ بتصرف وانظر فى الدين المقارن ص ١٩ ـ ٢٠ للدكتور محمد كمال جعفر ـ دار الكتب الجامعية ١٩٧٠م

(٢) الدين للدكتور دراز ص ٣٤

(٣) نشأة الدين ص ٣١ د / على النشار

(٤) الدين ص ٣٥.

(٥) فى الدين المقارن ص ٢٢

(٦) نفسه ص ٢٢

(٧) الدين للدكتور دراز ص ٣٦ ونشأة الدين ص ٢٨

(٨) الدين للدكتور دراز ص ٣٦

٦ـ الدين هو الأسلوب الأساسى الذى يطبع تصرفات الإنسان وتفكيره كما أنه أقوم سبيل لانطلاق الإنسان من إسار نفسه[١]

والملاحظة التى نسجلها على هذه التعريفات هى: ـ

أولاً: أن بعض هذه التعريفات قد ضيَّق دائرة الدين تضييقاً شديداً بحيث لا يستطيع تصوره إلا فئة قليلة من البشر وهم كبار الفلاسفة والعلماء كما فى تعريف " سبنسر " وتعريف " ماكس مولر " ثم إن هذه التعريفات فردية ولا تتجه نحو تبيين عمومية الظاهرة الدينية وهذه التعريفات من الممكن أن نبنى عليها فلسفة أما الدين فلا [٢]

ثانياً: أن بعض التعريفات ركزت على الجانب العقلى والمعرفى فى الدين وأهملوا جانب العبادة والسلوك ـ كما يظهر ذلك فى تعريف " هيجل " للدين ـ

ثالثاً: أن بعض التعريفات قد ألغى الفكرة الأساسية فى الدين وهى فكرة الألوهية كما فى تعريف " سالمون ريناك " وتعريف " دوركايم.

وحجتهم أن أديانا متعددة لا آلهة لها بل إن بعض الأديان المتحضرة لم تتحقق فيها فكرة الإله مثل البوذية والكونفوشيوسية حيث أنها تقوم على أساس أخلاقى بحت خال من تأليه كائن ما، وأن الذين يؤلهون " بوذا " " وجينا " إنما هم مبتدعون خارجون عن أصول دينهم الحقيقى القديم [٣].

رابعاً: إن كل تعريف من هذه التعريفات يركز على جانب واحد من جوانب تعريف الدين ـ أى أنه غير جامع، ولا مانع وبالجملة فهى ليست وصفاً دقيقاً للدين ـ والسبب فى ذلك أن ظاهرة التدين أكثر تعقداً وتشابكاً لجوانب عديدة من أن تعرف تعريفاً مختصراً مركزاً، ولذا يجب من البدء أن نفهم مصطلح الدين بأوسع معنى يتناسب مع استعماله التقليدى المأثور.

---

(١) انظر الدين مادة ورمزاً . ضمن آفاق المعرفة تأليف جورج هدلى ـ ترجمة فؤاد جميل. مؤسسة فرانكلين للطباعة بغداد نيويورك

(٢) الدين للدكتور دراز ص ٣٧ ـ ٣٨ ونشأة الدين ص ٢١

(٣) الدين للدكتور دراز ص ٣٨

ومعنى ذلك أن كل شيء يقع فى نطاق الديانات الفعلية عبر التاريخ يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند فهم المدى الذى يتسع له هذا اللفظ كما يجب ألا نغفل فى هذا الصدد أى عنصر نعتقد أهميته فى الارتباط بهذه الظاهرة الجليلة .[١]

خامساً: نتوقف بوجه خاص عند تعريف " دور كايم " الذى ذهب إلى استبعاد فكرة الألوهية عن الدين وتعريفه ـ وهنا نتساءل ـ هل الأديان التى عددها " دور كايم ـ خلت فعلاً عن فكرة الألوهية؟ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هل إذا خلت المعتقدات عن فكرة الألوهية يصح أن تسمى أدياناً؟

إن الإجابة عن التساؤل الأول ـ تتمثل فى إجماع مؤرخى الأديان على أنه ليس هناك جماعة إنسانية بل أمة كبيرة ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر فى مبدأ الإنسان ومصيره ، وفى تعليل ظواهر الكون وأحداثه ودون أن تتخذ فى هذه المسائل رأياً معيناً. حقاً أو باطلاً. وما ذكره " دور كايم " من أن بعض الأديان خلت عن فكرة الألوهية ـ هذه الأديان لم تشذ عن القاعدة التى أجمع عليها مؤرخو الأديان.

أما الإجابة عن التساؤل الثانى: فإن اصطلاح الناس على تسمية العقائد التى خلت من فكرة الألوهية ديناً فهذا اصطلاح مجاف لذوق اللغات خارج عن معهود الناس لأن هذه الأفكار الأجدر أن يطلق عليها فلسفات لا أديان ـ على أن الديانات التى ذكرها " دور كايم " عُرفت ودُرجت فى جدول الأديان لأن فى ثناياها فكرة التأليه ـ [٢] وعلى أقل تقدير كانت فى بدايتها مؤلهة وإن أنكر الأتباع فيما بعد الألوهية .

سادساً: إن العناصر الرئيسة التى يجب أن يتكون منها الدين كما حددها الدكتور دراز تتمثل فى : ـ

١ - عنصر الذات

---

(١) فى الدين المقارن ص ٢٤

(٢) انظر الدين ص ٣٩ ـ ٤٠ بتصرف

٢ - عنصر الغيبية

٣ـ عنصر الروحية

٤ـ عنصر الاتصال بالعابدين

وبعد أن حدد تلك العناصر الأربعة انتهى إلى تعريف الدين بأنه " الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة "[١] والذات الجديرة بالطاعة والعبادة هى الذات الإلهية بأوصافها التى وردت فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة أى هى ما جاء بها الإسلام عن طريق الوحى إلى محمد ﷺ.

(١) الدين للدكتور دراز ص ٤٩ بتصرف

obeikandl.com